تشكيل الوعي الاقتصادي لدى الأبناء في شهر رمضان المبارك

منير عبد العزيز

باحث في الاقتصاد الإسلامي - ماجستير في الاقتصاد الإسلامي

جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة: ١٨٥).

البعدُ الاقتصاديُّ لشهر رمضانَ المبارك

الناظرُ لتعاقُبِ المواسم التعبدّية في شريعتنا الغرّاء يَلحَظُ بُعدًا اقتصاديًا جديرًا بالدراسة والعناية من الباحثين والدارسين، فيوم الجمعة يومٌ للسعي والابتغاء من رزق الله، ورمضان موسمٌ للإنفاق والبذل والعطاء، وعيد الفطر للاستهلاك في المباحات وإسعاد الناس، وموسم الحج وما فيه من التبادل التجاري بين مختلف الأقطار، وعيد الأضحى وما شرع فيه من الأضاحي والإنفاق؛ كلّها تحمل جوانب اقتصادية أَصيْلَةٌ وليست مجرّد عوارض لهذه العبادات، وخاصةً حين نرى أنها فُرِضَت وفقًا للأشهر القمرية والتي هي متعاقبَةٌ في أصلها بين فصول السنة الأربع.

إن شهر رمضان المبارك موسم لتحفيز الانفاق المنضبط والمستدام في الدنيا والآخرة، فهنا تلحظ الصدقات خلال الشهر، وإطعام الفقراء، وزكاة الفطر، وزكاة المال ممن يخصصها في شهر رمضان لزيادة الأجر، وكذلك الانفاق الاستهلاكي على الأسرة والأقارب، وغيرها من الأنشطة المرتبطة بالسلوك الاقتصادي والمال، مما يساهم في تحريكٍ للمدخرات وضخّها في الاقتصاد بطريقة معتدلة لا تؤدي إلى زيادة مفرطة في الأسعار، علاوة على ابتغاء الأجر من الله وصلة الأرحام وتفقّدٍ لأحوال الفقراء والمحتاجين.

كلّ هذا يدفعنا نحو العمل على تشكيل الوعي الاقتصادي للتعامل مع هذه المواسم المباركة، ونجنّب أنفسنا من الإسراف والتقتير ونتعامل مع الأزمات الاقتصادية التي تعصف بمجتمعاتنا بكفاءة وفاعلية.

وسوف نستعرض معكم في هذا المقال القصير جزئيةً مرتبطةً بتشكيل الوعي الاقتصادي لدى أبنائنا خلال شهر رمضان المبارك إن شاء الله.

لماذا الحديث عن الوعي الاقتصادي لدى الأبناء:

أبناؤنا هم المستهدف الأول من إنفاقنا اليومي والذين لأجلهم نسعى في الكسب الحلال والانفاق المباح لنؤمن لهم حياة طيبة كريمة؛ وبالتالي في حال ضبط سلوكهم الاقتصادي وتعليمهم التصرّف من منطلق اقتصادي يؤمّن لنا توفيرًا في النفقات وبعبارة أصح؛ ننفق بطريقة اقتصادية لا إسراف فيها ولا تقتير ونتمثّل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (كلُوا واشربوا وتصدَّقوا في غيرِ مخيلةٍ ولا سرفٍ فإنَّ اللَّهَ يحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبادِهِ). رواه الإمام أحمد

كما أن الأولاد يشاركون الأهل شراء الحاجيات ولديهم مطالبهم ورغابتهم ويأخذون من المال ما ينفقونه وفقًا لما تشتهيه نفوسهم، فكان من الضروري تعليمهم وتعويدهم السلوك الاقتصادي القويم وفقًا لما يأمرنا به شرعنا الحنيف.

لماذا في شهر رمضان المبارك؟

إن شهر رمضان المبارك يربّي النفوس على ضبط الرغبات والشهوات ويدربها على إدارة السلوك الشخصي من الامتناع عن الطعام والشراب خلال ساعات النهار والاستيقاظ في وقت لم يعتد عليه الناس للأكل وهو وقت السّحر ويعمل على اكتساب عادات جديدة، والاقتصادُ كما نعلم هو سلوكٌ يميِّز بين المنافع والمضار وهو التوسط في النفقات وحسن إدارة المال، وهذا يدفعنا لاستغلال هذا الشهر المبارك في إكساب أبنائنا عادات اقتصادية وفقًا لمبادئ شريعتنا الغرّاء.

متى نبدأ مع أبنائنا؟

يبدأ الطفل في سنِّ التمييز من السادسة أو السابعة بتعلّم سلوكيات جديدة مرتبطة بوسطه الخارجي ويُحسِنُ في هذا السنِّ من المقارنة المنطقية بين الجيد والسيء والنافع والضّار، وكما أننا نسعى في هذا السنّ لتعليمهم اللغات والعلوم التقنية والمهارات الشخصية، فلا بدّ أن نبدأ معهم كذلك في تعليمهم وتدريبهم على المبادئ والأسس الاقتصادية والتعامل مع المال والذي يشكل جزءًا كبيرًا من حياتهم المستقبلية.

لما يجب على الأطفال أن يتعلموا هذا في سنٍّ مبكرة؟

يشكل الاقتصاد الجانب الأكبر والأهم في حياتهم كما أشرنا سابقًا، كما أنه يساهم في تكوين شخصيتهم ويدربهم على اتخاذ القرارات والتعامل مع الآخرين، ويكسبهم مهارات البيع والشراء والتفضيل بين المنتجات

والادخار والاستثمار واختيار الأصلح والأنفع لهم، وما أن يكتسبوا ذلك في صغرهم حتى يكبر معهم وتزداد تجاربهم فيه.

ما هي المفاهيم والأسس التي يجب أن نُكسِبَها لأبنائنا؟

سننطلق من بعض الأسس والمفاهيم في السلوك الاقتصادي والتي يجب أن تُزرَعَ في نفوس أبنائنا منذ صغرهم، والتي تساهم في تشكيل نظرتهم لهذا الميدان الكبير ومنها:

مفهوم الحاجة والمنفعة:

روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَحْمًا مُعَلَّقًا فِي يَدَيَّ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جَابِرُ ؟ فَقُلْتُ: اشْتَهَيْتُ لَحْمًا فَاشْتَرَيْتُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَوَكُلَّمَا اشْتَهَيْتَ يَا جَابِرُ اشْتَرَيْتَ؟ أَمَا تَخَافُ هَذِهِ الْآيَةَ يَا جَابِرُ؟: **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** (الأحقاف: ٢٠) رواه الإمام أحمد، وإسناده ضعيف.

نأخذ من هذا أن الاستهلاك لدينا ليس لمجرّد الاستهلاك كما يشجّع على ذلك النظام الرأسمالي والذي ينطلق من تحفيز الناس على الاستهلاك وتغيير عاداتهم وسلوكهم ليكونوا أكثر استهلاكًا بدوافع الشهوة والمتعة والرغبة لا من دافع الحاجة والمنفعة والقيمة.

فلا بدّ من تدريب الأبناء على أن الاستهلاك بقدر الحاجة، واختيار السلع مبني على قدر المنفعة المتحصّلة من هذا المنتج، فلا شراء بغير حاجة ولا اقتناء لأشياء قد لا نستخدمها أو ننتفع بها في الوقت الحالي، وهذا يُنمّي عند الأبناء القدرة على المفاضلة بين الأشياء واختيار الأصلح من بينها.

مفهوم الانفاق والإسراف:

جاء في الحديث؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (**كلُوا واشربوا وتصدَّقوا في غيرِ مخيلةٍ ولا سرفٍ فإنَّ اللَّهَ يحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عبادِهِ**) رواه الإمام أحمد.

يرشدنا الحديث الشريف إلى الإنفاق المقتصد والذي يحقق المعيشة الطيبة والتنعّم بآلاء الله سبحانه، وينهانا عن الاسراف في النفقات حدّ التفاخر والمغالاة والتي تؤدي إلى الكبر والخيلاء.

علينا أن نرشد ابناءنا أن يعيشوا حياةً اقتصاديةً متوازنة، وينفقوا مما أنعم الله علينا حتى تَظهَرَ آثار النعمة، فيحمدوا الله ويشكروه، وعليهم أن يبتعدوا عن الإسراف في النفقات والتي يكون دافعها التفاخر بين الناس والاستعلاء عليهم.

ومعيار الانفاق ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: من أنفق مائة ألف في حق فليس بسرف، ومن أنفق درهما في غير حقه فهو سرف، ومن منع من حق عليه فقد قتر.

وهذا يشير إلى أن الانفاق المرتبط بالمنفعة أو الحاجة فليس بإسراف مهما بلغت قيمته، وأن الانفاق من غير حاجة فهو سرف، ومن أحجم عن أداء ما عليه من حق كالزكاة أو الانفاق على الأهل فهذا بخل.

مفهوم الادخار والاستثمار:

يجب علينا تدريب أبنائنا على الادخار والتركيز على العائد من هذا الادخار، كأن نحدث لهم صندوقًا صغيرًا ليضعوا به النقود ويدّخروها خلال شهر رمضان، ويقومون بفتح هذا الصندوق في العيد لنشاركهم قراراتهم فيما سيفعلون بهذا المال وما الذي سيشترونه وما دافعهم لهذا الشراء وكيف سيقيّمون قراراتهم، مع التركيز على أن يكون فيها سهمًا للفقراء ونؤكد لهم أن الاستثمار ليس في منافع الدنيا بل هو استثمار في الآخرة أكبر.

سلوكيات اقتصادية:

مما سبق يمكننا أن نوجّه القارئ الكريم إلى عدد من السلوكيات التي ننصح بها خلال شهر رمضان المبارك، مع التأكيد على الغاية من كلّ سلوك وشرحه للأبناء حتى يدركوا الغاية من أفعالهم.

- علّم أبناءك التعامل مع المال والبيع والشراء، واطلب منهم شراء حاجيّات المنزل وأن يتفاوضوا مع البائع على السّعر، وأن يختاروا من بين المنتجات أجودها وأقلّها سعرًا، وأن يتحملوا نتائج تصرفاتهم المالية واترك لهم حرّية الاختيار بين المشتريات في حال وجود أكثر من خيار.
- أجعل لأبنائك مصروفًا محددًا يديرونه ويتحملون نتائج تصرّفاتهم. مثل بعض الأكلات وقت الإفطار، أو مشتريات العيد، وفي حال أنفقوا المال الذي بين يديهم بدون منفعة فلا تعطيهم المزيد، حتى يدركوا قيمة الفرصة التي كانت بين أيديهم وأن المال الذي يذهب بدون دراية لا يمكن تعويضه.
- عوّدهم على الإنفاق في الخير، وليشاركوا في الصدقات، واجعل لهم سهمًا في إرسال المال إلى المحتاجين والفقراء وخاصّة الأقارب منهم.
- ازرع فيهم قيمة العمل والكسب الحلال والإنتاج، حتى يدركوا أن هذا المال لم يأتي من فراغ وأن الحصول عليه يحتاج للتعب وتحرّي الحلال.
- وإن كنت تعيش في غربة عن وطنك، فليكن لأبنائك نصيب من إرسال المال إلى أقاربهم في بلدك وأن يكونوا جزءً من تخفيف المعاناة عنهم، وأن يشعروا أن بلادهم بحاجة إليهم وأنه يمكنهم المساهمة في دعم أهلهم وإن كانوا بعيدين عنهم.
- يجب علينا مشاركة الأطفال معنى إفطار صائم وارسال المال للأهل في بلداننا التي تعيش الظروف الصعبة مثل سوريا ومصر واليمن والعراق وغيرها أو حتى المشاركة مع الجار القريب المحتاج.

- لا تكثر من أصناف الطعام على المائدة الواحدة، وإن كنت مقتدرًا على ذلك، واجعل التوفير في المائدة عائدًا على إطعام الآخرين وشارك أولادك هذا المعنى.

وفي الختام إن فهم الاقتصاد وبناء الوعي لدى أبنائنا في مفاهيمه وأسسه وتدريبهم على الممارسة العملية لهو من واجبات الساعة، فأيّ أمةً لا تملك اقتصادها ولا تفقه فيه ستكون أمةً تابعة لا متبوعة، وسَتُسلَب منها إرادتها وتُسرقَ ثرواتها، فالوعي الاقتصادي على مستوى الأفراد واجبٌ وسينعكس بالضرورة على المجتمع والأمة، وليكن هدفنا: نحو بناء جيل اقتصادي مُتمكّن.

أسأل الله أن يبارك لنا في شهر رمضان المبارك وأن يصلح احوالنا ويفرّج عن بلادنا.